عمود الشعر من رؤية نقدية معاصرة

طاهرة داخل طاهر
الجامعة المستنصرية-كلية التربية الأساسية

المقدمة

لم تكن قضية " عمود الشعر " قضية نقدية حديثة ، ومع ذلك كثر تناولها عند المحدثين تكراراً ونسخاً للآراء. إذ ليس من السهل أن يكون البحث في قضية قديمة دون تجنب ما وقع به الآخرون. مما أوقعني في حيرة ؛ لأن قضية عمود الشعر توقفت طروحاتها عند القدماء بعد المرزوقي عندما استنفذها بالتوضيح.

وإن من كتب عنها من المحدثين لم يزد عليها جديداً سوى تفصيلات وتفسيرات تكاد تكون مكررة أو غير مقبولة كالرأي القائل:

((وفي ظننا إن القدماء أرادوا بعبارة عمود الشعر "ما يطلق عليه المحدثون الصورة الشعرية " وإن شئنا من التحديد قلنا المعاني والصور التي بنى عليها أبو تمام شعره ، فجاء نمطاً من الشعر يخالف النمط القديم))[١].

ومنهم من عرض عمود الشعر بتقسيم جديد وبمضمون قديم كتقسيم عمود الشعر عند الجرجاني إلى ثلاث مجموعات (تكوينية ، وجمالية ، وإنتاجية)[٢].

ومنهم من قارن مفهوم عمود الشعر القديم مع مبدأ أديب معاصر وهو مبدأ (استوفر). إذ عدَّ استوفر أن الشعر تجربة عميقة في حين أن العرب استندوا إلى وحدة البيت في الشعر وليس الوحدة الشعورية في القصيدة كما نستخلص ذلك من مفهوم استوفر للشعر[٣].

ولم نجد سبباً لهذه المقارنة ولا دواعي علمية لذلك. لأن عصر التنظير النقدي عند العرب مختلف تماماً لعصر التنظير للنقد الإنكليزي فضلاً عن البون الشاسع بين بناء القصيدة العربية وبناء القصيدة الإنكليزية.

فارتأينا أن نؤشر النواة الأولى لعمود الشعر في النقد القديم ويكون ذلك بترتيب زمني افتراضي نرجو أن يكون صحيحاً. فبدأنا بالمفاضلة الشعرية ومتابعتها تطورياً، حتى استقامت نظرية نقدية لها شروطها وموضوعاتها وإشكالاتها وهي " عمود الشعر".

---

[١] حركات التجديد في الأدب العربي / مجموعة مؤلفين / من مقالة د. حسين نصار / ص٦٣.

[٢] ينظر: نظرية النقد العربي وتطورها إلى عصرنا، د. محي الدين صبحي / ص١٣١.

[٣] الأسس الجمالية في النقد العربي / عز الدين إسماعيل / ٣٦٤-٣٧٤.

وركزنا في دراستنا على دواعي ظهور تعبير عمود الشعر عند الآمدي ، ومن ثم ظهور أبوابه عند الجرجاني ، وتميزه عند المرزوقي مع شيء من التفصيل. ومن ثم عقد مقارنة بين القاضي الجرجاني والمرزوقي حوله.

ولم يخل البحث من مناقشة بعض الآراء، والاجتهاد في توليد أخرى جديدة، نرجو أن تكون سليمة في منطلقها. هذا مع اعتقادنا أن قضية عمود الشعر سوف تبرز بوضوح أكثر كلما جدت تطورات الشكل أو المبنى آملين أن تدرس نظرية عمود الشعر دراسة حديثة. وتكون لها أصول مختلفة بعيدة عن منبعها في الأدب العربي القديم.

تمهيد

يشهد كل من يبحث في التراث اللغوي والنقدي للعرب في القرن الثالث الهجري أن هناك انصرافاً واضحاً وعناية متميزة من قبل العلماء في تدوين اللغة وضبط قواعد النحو والنظر إلى دلالات الألفاظ لفقه القرآن الكريم. وكان من الطبيعي الاتجاه نحو الشعر بوصفه مصدراً للأخذ والاستشهاد. وراحوا يستقرئونه لا لحاجة فنية بحتة ، وإنما لاقتناص شواهد نحوية أو لغوية كما فعل عمرو بن العلاء والأصمعي ، وابن الأعرابي مع الشعر الجاهلي. مستندين الى قول ابن عباس: ((إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه، فاطلبوه في اشعار العرب ، فإن الشعر ديوان العرب))[1]. وكثرت شروح الأشعار، وأكبر الظن، أن علماءنا بمرور الوقت حاولوا أن تكون لشروحاتهم ميزة قائمة على شروط فنية تعتمد اللفظ والمعنى والوزن والقافية ومشاكلتهما بدلاً من اعتمادها اللغة واستقامة المفردة ضمن سياق النحو العربي اعتماداً تاماً. وهذا الأمر نبه به النقاد إلى تناول شعراء بعينهم وشرح أشعارهم أو الدفاع عنها ، أو موازنتها مع أشعار أخرى.

بعد أن كانت (المفاضلة) قبله معياراً وسبباً أولياً مهماً نبهت إلى ضرورة تحديد مقاييس الشعر العربي ثم صار عمود الشعر أساساً معتمداً لشروطها بعد ذلك ، والدليل على هذا أن عمود الشعر أقيم على أساس مسألة اللفظ والمعنى ومقدار اتصالهما بالطبع والصنعة.

ومثلهما المسألتان البلاغيتان (الاستعارة وقربها من المأخذ والتشبيه والإصابة فيه) في الأهمية حيث ارتبطتا بموضوع (الطبع والتكلف) وما أثاره هذان الموضوعان من صراع وشقاق وتفسيرات حتى صارتا من أهم الشروط التي تضمنها عمود الشعر العربي.

---

[1] العمدة / ابن رشيق القيراوني / ج ١ / ص ٣٠ .

إن مسألة التمهيد لحديث عمود الشعر عند العرب كانت أسبابها الأولى ذوقية ، انطباعية (المفاضلة) ولغوية بلاغية (النحو والبلاغة) ومن ثم فنية على التوالي.

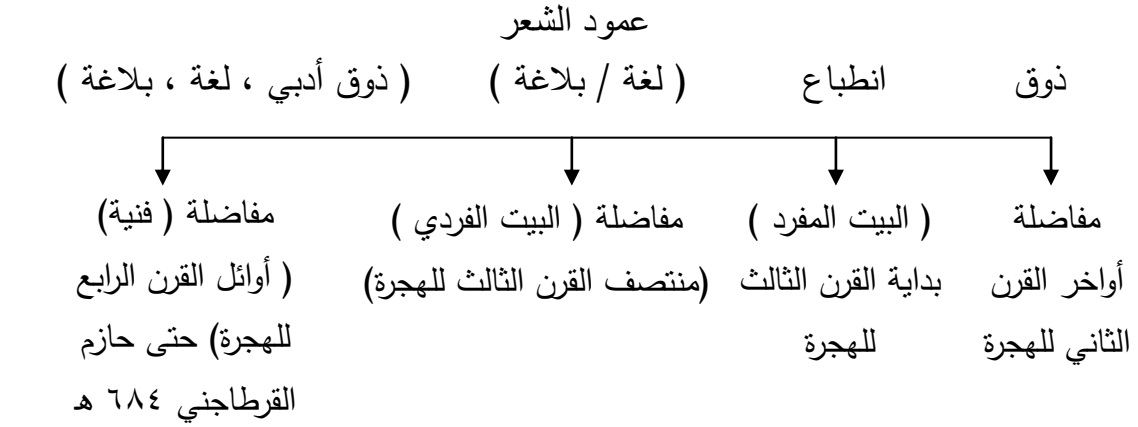

ومن الممكن تتبعها في أدب نقادنا زمنياً ، إذ نجدها مجرد مقاييس يجب مراعاتها من قبل الناقد والناظم في أول صحيفة نقدية هي (صحيفة بشر بن المعتمر) ثم نجدها مفاضلة متفاوتة ونسبية بين الذوق والأخلاق والتعصب إلى القديم في كتاب (فحولة الشعراء) للأصمعي (٢١٦ للهجرة) ومثله كتاب (طبقات فحول الشعراء) لابن سلام الجمحي (٢٣١ للهجرة) سوى أنه كان صاحب منهج ، وعرض آراءه عرضاً فيه تمحيصاً ظاهراً. فقد طرح كثيراً من الموضوعات التي تتعلق بالنظم كالمعنى المشترك والشعر الموضوع على سبيل المثال.

وإذا انتقلنا للجاحظ (٢٥٥ للهجرة) فإن بعض مقاييس (عمود الشعر) كموضوع (اللفظ والمعنى)، تكاد تنتظم في نظرية، كما في قوله ((والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي... وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولته، وسهولة المخرج، وفي صحة الطبع وجودة السبك ، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج ، وجنس من التصوير))[١].

ثم نرى بعض خصال عمود الشعر في كتاب الشعر والشعراء (لابن قتيبة) (٢٧٦ للهجرة) ، اذ اهتم بقضية اللفظ والمعنى فهو يميل إلى الطبع وينفر من التكلف وهو في قوله:

((ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص به قوماً دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده كل دهر ، وجعل كل قديم حديثاً في عصره وكل شرف خارجية في أوله))[٢] ، منح الشعر ونظريته – إذا جاز التعبير – سعة زمنية

---

[١] الحيوان / الجاحظ / تحقيق: عبد السلام هارون / ج٣ / ص١٣١-١٣٢.

[٢] الشعر والشعراء/ ابن قتيبة / طبعة غير محققة / المقدمة / ص٢.

ويمكن أن نقول دون تحرج أنه زوده بزمن أفقي ، أي لا يختص في زمان أو مكان أو في قوم معينين وإنما افترض أن يكون المرءُ مغلقاً في الشعر حتى وإن لم تضرب جذور شاعريته إلى قوم أو نسب شعري ، كأن يكون من عائلة معروفة بالشعر ، أو ينتسب إلى زمن أزدهر فيه الشعر. فابن قتيبة منح مسألة (اللفظ والمعنى) وشاعرتيها سعة زمنية وإطلاق لا يختص بعرق أو زمن. وهي بادرة للتنظير مهمة كثيراً ، فحين يبرز رأي كرأي ابن قتيبة وفيه إطلاق زمني وعرقي ، سيكون له ميزة عن لا حقيه ، حين أسسوا من بعده لعمود الشعر قاصدين اصطلاحه ، وذكروا قضية (اللفظ والمعنى) واستقامتها ولم يذكروا أن الإبداع (مقسوماً مشتركاً بين عباده). وهو لم يثر مسألة القديم والمحدث مثلما أثارها من بعده نقاد كثيرون ، بقصد أو بدون قصد لأنه المقياس النظري الملموس لديهم. وإنما قال: ((فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقديم قائله ، ويضعه في متخيرة ، ويرذل الشعر الرصين ، ولا عيب عنده إلا أنه قبل في زمانه ، أو أنه رأى قائله))[1].

ونكتفي بهذا القدر من متابعة قضية المفاضلة واشتراطاتها الأخرى في النقد حتى أواخر القرن الثالث للهجرة. لننتقل إلى أول ظهور لمصطلح (عمود الشعر) عند النقاد العرب في القرن الرابع الهجري. وسنعرض آراء لثلاثة نقاد من القرن الرابع الهجري وهم: الآمدي (٣٧٠ للهجرة)، والقاضي الجرجاني (٣٩٢ للهجرة)، والمرزوقي (٤٢١ للهجرة).

فالآمدي: هو أول من ذكر مصطلح عمود الشعر في كتاب (الموازنة في شعر أبي تمام والبحتري).

والقاضي الجرجاني: هو أول من نظر لهذا المصطلح تنظيراً علمياً فيه بعض السعة.

والمرزوقي: هو أول من فصل (عمود الشعر) على نحو يعد ميزة مقارنة لمنهج التأليف النقدي في عصره حتى أن من جاء بعده لم يضف كثيراً على ما قال.

مصطلح عمود الشعر وانبثاقه عند الآمدي (٣٧٠ للهجرة) وآراء المحدثين فيه:

العمود/لغة: الخشبة القائمة في وسط الخباء ، والجمع (أعمدة ، وعمد). وعمود الشعر: هو طريقة العرب في تنظيم الشعر[2].

---

[1] الشعر والشعراء/ المقدمة / ص٢.

[2] معجم النقد العربي / أحمد مطلوب / ص١٣٣.

والمعاجم تقول: عمد الحائط: يعمده عمداً: أقامه أو دعمه.

والعماد والعمدة: ما يقام به أو يعتمد عليه.

وانتقلت الكلمة إلى مجال حسي فقالوا (عمود القلب ، وعمود السنان ، وعمود السيف، على وجه التشبيه ، وانتقلت الكلمة إلى مجال مجازي وأطلقوها على معان مجردة مثل عمود الصبح ، وعمود الإسلام ، وعمود الرأي ، وعمود الأمر. وانتقلت بعد ذلك وأطلقت على الشعر فسمي (عمود الشعر) وتعريفه ((قوام الشعر الذي لا يستقيم إلا به))[١].

إن أقدم استخدام نعرفه لعبارة (عمود الشعر) ورد في كتاب ((الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري)) لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي[٢].

وقد استخدم الآمدي تعبير (عمود الشعر) ثلاث مرات في كتابه ، لم يعزه إلى أحد في إحداهما وعزاه مرة إلى البحتري ، وأخرى إلى من سماه صاحب البحتري.

إذ قال في المرة الأولى (وإن كان كثيراً من الناس قد جعلهما طبقة... وإنهما لمختلفان ، لأن البحتري أعرابي ، وما فارق عمود الشعر المعروف ، وكان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام)[٣].

وأورد الآمدي تعبير (عمود الشعر) للمرة الثانية في قوله ((والذي أرويه عن أبي علي محمد بن العلاء السجستاني وكان صديق البحتري أنه قال: سئل البحتري عن نفسه وعن أبي تمام فقال: كان أغوص على المعاني مني ، وأنا أقوم لعمود الشعر منه))[٤].

فنرى أنه جعل تعبير (عمود الشعر) على لسان البحتري. ولا ندري هل إن البحتري حقاً هو من عبر بكلمتي (عمود الشعر)، أم أن الآمدي وضعها لأنه وجدها أنسب تعبير لمراد البحتري ؟!.

وأورد تعبير (عمود الشعر) في المرة الثالثة على لسان صاحب البحتري إذ قال: قال صاحب البحتري: ((حصل للبحتري أنه ما فارق عمود الشعر وطريقته المعهودة مع ما

---

[١] الوافي / معجم وسيط للغة العربية / الشيخ عبد الله البستاني (١٨٥٤-١٩٣٠) / مكتبة لبنان/ بيروت / ١٩٨٠ / ص٤٣٥-٤٣٦.

[٢] ينظر: تأريخ النقد الأدبي عند العرب / د. إحسان عباس / ص١٥٩.

[٣] الموازنة / ص١١.

[٤] الموازنة / ص١٥.

نجده كثيراً في شعره من الاستعارة والتجنيس والمطابقة. وانفرد بحسن العبارة ، وحلاوة الألفاظ ، وصحة المعاني ، وحتى وقع الإجماع على استحسان شعره واستجادته))[١].

ومن يتأمل في القولين الأخيرين ، يتوضح له الآتي:

١. إن الآمدي الصق تعبير (عمود الشعر) بقضية (الطبع) ومن ثم قرنها بالبحتري.

٢. أنه نسب هذا التعبير مرتين للبحتري ولصاحب البحتري ونسبه لنفسه مرة واحدة في موضوع يرتبط باسم البحتري أيضاً. ووجهة نظرنا في هذا الأمر ، أن الآمدي أراد أن ينسب تعبير (عمود الشعر) إلى البحتري لأنه تعبير جديد وربما كان يحترز في طرحه للمرة الأولى مقترناً باسمه. ونجح في ذلك كثيراً ولم يناقش هذا التعبير من قبل معاصريه من النقاد ، واكتفوا بمناقشة خصاله وقضاياه.

٣. ويتوضح لنا أيضاً أن الآمدي أعاد عمود الشعر إلى منطلقه الأول وهو (المفاضلة)، والمفاضلة كانت بداية الخط الذي رسمناه لعمود الشعر حين راقبنا تطوره ، وكانت تتخذ أشكالاً مختلفة على هذا الخط فهي في أولها كانت (ذوقية ، انطباعية) وصارت فيما بعد مفاضلة (لغوية ، بلاغية) ، ومن ثم تحولت إلى مفاضلة فنية تشتمل على كل ما تقدم.

والآمدي طرح مفاضلته هذه في موضوع (القديم والمحدث) فعندما وصف البحتري قال عنه: ((البحتري إعرابي الشعر ، مطبوع ، وعلى مذهب الأوائل)). وحين وصف أبا تمام قال عنه ((شعره لا يشبه أشعار الأوائل ولا على طريقتهم ، وفيه من الاستعارات البعيدة والمعاني المولدة))[٢].

وقبل هذا الموضع وصف الآمدي شعر البحتري وابي تمام واضعاً بذلك اركان عمود الشعر عنده وحريصاً على ان يبدو حيادياً في حكمه بقوله:

((كمن فضل البحتري ، ونسبه الى حلاوة النفس ، وحب التخلص ، ووضع الكلام في مواضعه ، وصحة العبارة ، وقرب المأتى ، وانكشاف المعاني ، وهم الكتاب والإعراب والشعراء ، والمطبوعون وأهل البلاغة ، ومثل من فضل ابا تمام ، ونسبه الى غموض المعاني ودّقتها ، وكثرة ما يورده مما يحتاج الى استنباط وشرح واستخراج وهؤلاء اهل المعاني والشعراء واصحاب الصنعة ومن يميل الى التدقيق وفلسفي الكلام))[٣].

---

[١] الموازنة: ص٢٠.

[٢] الموازنة: ص١١.

[٣] الموازنة : ص ١٠ – ١١ .

ولكي يعطي الآمدي أسباباً جعل الاستعارات البعيدة والمعاني المولدة ليست من أشعار الأوائل. وبذلك صار (عمود الشعر) يرتبط بمسألتين مهمتين. الأولى تتصل بالقديم والأخرى بالاستعارات البلاغية.

ونخرج من ذلك ، إن فكرة عمود الشعر عند الآمدي كانت وسيلة للكشف عن صفات شعر أبي تمام. ومواصفاته هنا ليست شروطاً قياسية يجب أن تتبع لكي يكون الشعر شعراً.

لأن عمود الشعر أصبح عنده أشبه بورقة اختبار (عباد الشمس) تكشف للعيان وبوضوح ما يطرأ في معادلة التفاعل الشعري. ليظهر بعد ذلك مساوئ أبي تمام ومحاسن البحتري.

تماماً كما فعل القاضي الجرجاني بعده حين جعل من عمود الشعر خصائص، حدد قواماً لها ، حتى لا يمكن أن ينفذ منها إلى شعر المتنبي فيما إذا أخل المتنبي بأحد شروط ذلك العمود.

وإذا كان قد ارتبط (عمود الشعر) بالطبع والتكلف عند الآمدي فإن أثره سينتفي وذلك لأن قضية الطبع والتكلف صارت قضية نسبية من وجهة نظر بعض النقاد المعاصرين إذ يعتقدون إن الطبع والصنعة والتكلف من صفات الشاعر الواحد ، ولكن ربما يكون مؤثر الطبع أكثر من غيره ، أو الصنعة أكثر من غيرها ، أو التكلف أكثر من غيره ، وليس هناك حدود تقسم وتفصل بين هذه المصطلحات[١].

القاضي الجرجاني / ٣٩٢ للهجرة:

هو الناقد الثاني ذكر (عمود الشعر) في كتابه ((الوساطة بين المتنبي وخصومه))، ولم يضع عنواناً بارزاً له في كتابه ، ولم يحدد عناصره بالتفصيل تحديداً صريحاً... وقد ورد ذكره من مجموعة من الأسطر في كتابه مرة واحدة ، إذ قال فيها:

((كانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب ، وشبه فقارب ، وبده فأغزر ، ولمن كثرت سوائر أمثاله ، وشوارد أبياته ؛ ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة ، ولا تحفل بالإبداع والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض))[٢].

---

[١] وجهة نظر د. أحمد النعيمي في محاضرة (في الطبع والصنعة) لطلبة الدكتوراه / كلية التربية للبنات ، بتاريخ ٢٦ / ١١ / ٢٠٠٢.

[٢] الوساطة / القاضي الجرجاني / تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم / علي محمد البجاوي / ص٣٢.

وقد خرج الدارسون من هذا النص بعناصر ستة يعدها القاضي الجرجاني عناصر عمود الشعر:

١. شرف المعنى وصحته.

٢. جزالة اللفظ واستقامته.

٣. إصابة الوصف.

٤. المقاربة في التشبيه.

٥. الغزارة في البديهة.

٦. كثرة الأمثال السائرة والأبيات الشاردة[١].

وإذا كان الآمدي قد حام حول (عمود الشعر) ذاكراً في الأغلب الصفات السلبية لأنه انشغل كثيراً فيما وقع فيه أبو تمام كالتعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام واستكراه المعاني والإبعاد في الاستعارة مما لو عكسته لأصبح صفات للبحتري، فتناول الجرجاني هذا كله ووضعه في صورة إيجابية فإذا عمود الشعر ذو أركان محددة[٢].

ومن يتأمل عمود الشعر عند الجرجاني يرى أن خصاله الأربعة الأولى هي خصال (بلاغية فنية). أما الخصلتان الأخيرتان فتتصلان – بالدراية والرواية – التي تنم عنهما الغزارة في البديهة وكثرة الأمثال والأبيات الشاردة.

وبما أن العرب تعجب بالبيت الشارد وتفضل صاحبه وتعجب بالأبيات التي تعتمد الحكمة اعتماداً كبيراً ، وهذا متوفر في شعر المتنبي ، ورأينا الجرجاني يضع شرطاً في عمود الشعر ليلائم شعر المتنبي. كما أن كثرة الأمثال السائرة والأبيات الشاردة ليدل على مواتاة الطبع ، وغزارة النتاج ، وشدة الموهبة ، وهو إشارة أخرى إلى شعر المتنبي وموهبته ، ويمكن القول أن الجرجاني قد اتخذ من شعر المتنبي أنموذجاً لإقامة عمود الشعر عليه كما فعل الآمدي مع شعر البحتري.

الجرجاني إذن رحب بالمعاني الحضارية ولم ينغلق على المعاني البدوية (معاني الأوائل) فصار عمود الشعر عنده أفسح مجالاً ، ويضم الشعر القديم والمحدث معاً وقد أتاه ذلك من إعجابه بالمتنبي فأتخذ من شعره مقياساً لعمود الشعر عنده كما ذكرنا سابقاً.

---

[١] ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب / ص٢٢٢.

[٢] تاريخ النقد الأدبي عند العرب / ص٣٢٢.

وقد جعل د. محيي الدين صبحي عمود الشعر كما ذكره القاضي الجرجاني في وساطته مرتكزاً لدراسة يمكن أن نعدها دراسة حديثة عن عمود الشعر. وعد نظرية عمود الشعر عند الجرجاني تتألف من ثلاث عناصر كالآتي:

١. تكوينية.

٢. جمالية.

٣. إنتاجية.

أما التكوينية فهي ما يتصل (بشرف المعنى) أي سموه ولياقته. (وصحة المعنى) أي انطباقه على المنطق والمشاهدة والرواية وسلامته من الغلط والإحالة. (وجزالة اللفظ) أي قوته ، مع أمكان إفهامه و(استقامته). أي صحته في بنيته وفي استعماله.

أما العناصر الجمالية:

١. الإصابة في الوصف.

٢. المقاربة في التشبيه.

أما العناصر الإنتاجية:

١. البديهة والغزارة.

٢. كثرة الأمثال السائرة والأبيات الشاردة.

فإذا توفرت للشاعر البديهة ، تعددت الموضوعات التي يطرقها وتعدد أبياته الشاردة (الفريدة)[١].

ومن خلال هذا العرض نجد أن د. محيي الدين صبحي لم يأت بجديد ، بل هو فسر ما فسره غيره النقاد ولكن بتعبيرات أبسط ومن ثم حصرها في تقسيمات أوضح.

أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي / ٤٢١ للهجرة:

يعد المرزوقي أول من عرض لقضية (عمود الشعر) عرضاً شافياً وبتفصيل يمكن أن يأخذ مصطلح نظرية (عمود الشعر) ، لأن مفهوم " النظرية " لا يخلق فجأة ولا يكون من لا شيء بل لابد له من أصول تزكية ، وجذور تمده بعناصر تساعد على تشكيل ما يسمى بـ " النظرية "[٢].

---

[١] ينظر: نظرية النقد العربي وتطورها في عصرنا / د. محيي الدين صبحي / ص١٣١.

[٢] نظريات التعلم / أحمد زكي / ص١٥.

والمرزوقي يتساءل (ما هو الشعر المعروف عند العرب... ؟) وكلمة (المعروف) هي لفظة دالة على أن هناك مواصفات للشعر معلومة حددها العرب من حيث الجيد والحسن فيها ، ولكنها على ما يبدو متناثرة لم تدون في موضوع يأخذ التفصيل مع التكثيف والإحاطة كما فعل المرزوقي.

فهو أراد أن يسأل ليجيب ((وليتميز تليد الصنعة من الطريف، وقديم نظام القريض من الحديث، ولتعرف مواطيء أقدام المختارين فيما اختاره، ومراسم أقدام المزيفين على ما زيفوه، ويعلم أيضاً بين المصنوع والمطبوع ، وفضيلة الآتي السمح على الأبي الصعب))[1].

ولو تساءلنا لماذا الاهتمام الكبير بشرح حماسة أبي تمام. فقد شرحها أبو العلاء المعري والتبريزي وأبو بكر الصولي ، وأبو هلال العسكري وأبو محمد الإعرابي (الغندجاني) وقبله أبو عبد الله البصري والابياري. وأول هؤلاء جميعاً أبو رياش أحمد بن إبراهيم الشيباني (٣٣٩ للهجرة) ، وأبو عبد الله النمري[2].

ولو تساءلنا أيضاً لماذا تحدث المرزوقي عن (عمود الشعر) في مقدمته لشرح حماسة أبي تمام ؟!.

والجواب على السؤال الأول يكون كالآتي: إن انتقاءات أبي تمام في الحماسة جاءت مبرزة ، ومما تفضله العرب ، فهو عمل على أن يوافق طبعه في التأليف طبع العامة في القبول ، وانحرف في اختياراته عن أسلوبه في النظم.

وقد اعتسف المرزوقي من وجهة نظري حين قال:

((ومعلوم إن طبع كل أمريء ، إذا – ملك زمام الاختيار – يجذبه إلى ما يستلذه ويهواه ، ويصرفه عما ينفر منه ولا يرضاه)).

وفي ذلك إشارة خفية إلى أن أبا تمام يكتب وهو ((حامل في الاستعارات كل مشقة ، متوصل إلى الظفر بمطلوبه من الصنعة أين اعتسف وبماذا عثر ، متغلغل إلى توعير اللفظ وتغميض المعنى أنى تأتى له وقدر)) ؛ ولكنه حين ألف الحماسة كان ((عادل فيما

---

[1] شرح ديوان الحماسة/ المرزوقي/ تحقيق: أحمد أمين / عبد السلام هارون / ط١ / مقدمة الشارح/ ص٨-٩.

[2] ينظر: شرح ديوان الحماسة / مقدمة المحقق / ص١٠-١١.

انتخبه في هذا المجموع عن سلوك معاطف ميدانه ، ومرتض ما لم يكن فيما يصوغه من أمره وشأنه ، فقد فليته فلم أجد فيه ما يوافق ذلك الأسلوب إلا اليسير)).

فإنه جعل أبا تمام يلمس الوعورة والمشقة في الاستعارة في شعره ، لذلك عندما ألف الحماسة انجذب إلى ((ما يستلذه ويهواه)) وانصرف عما ((ينفر منه ولا يرضاه))[١].

وهو بالضرورة المقصود به أسلوب أبي تمام في النظم ومن شاكله في التكلف في الشعر ولم يوافق طبعه معناه.

وفي حقيقة الأمر إن أبا تمام كان واعياً لمنظومه ، حين ألف الحماسة ، ولأن ما ينظمه كان يتأتى من نفس شاعر وهي في الغالب أشبه بمجمرة من الانفعال والعاطفة والتمرد من جهة والحكمة والفلسفة من جهة أخرى. ولم يبتعد في اختياراته عن الأشعار التي تنهج أسلوبه في النظم إلا ليكون موضوعياً في اختياراته ولا يجعل جانبه في الذوق وأعمال النفس ينعكس على تلك الاختيارات.

أما الجواب على السؤال الثاني: وهو لماذا تحدث المرزوقي عن (عمود الشعر) في مقدمته لشرح حماسة أبي تمام فهو كما يأتي مع كثير من الحذر:

إن المرزوقي أراد أن يصنع خيطاً فكرياً بين أول لفظ ورد فيه (عمود الشعر) عند الآمدي ، حين وازن بين شعر أبي تمام والبحتري في كتابه (الموازنة). فغزل من هذا الخيط نسيجاً واضحاً للعيان ووضع فيه نقشاً ذا معنى ودلالة واضحة ، حتى صار هذا النسيج رمزاً دالاً على كل شعر ، وإن من جاء بعده لم يفكر في أن يقلد صناعته في النسيج ، ولا أن يغير لونه ورموزه ، بل اكتفوا بأن يكون هذا النسيج بتصميمه ملائماً لما بعده ، فانصرفوا عن الصنع على غراره واقتصروا على استخدامهم له عند الدلالة.

ومما يسند وجهة النظر هذه قول د. إحسان عباس ((إن صياغة المرزوقي لعمود الشعر كانت على نحو لم يسبق إليه ، ولا تجاوزه أحد من بعده))[٢] ، ورأيه الآخر عن عمو د الشعر عند المرزوقي ((هو خلاصة الآراء النقدية في القرن الرابع)) على ما في هذه العبارة من سعة وعمومية كبيرة.

فالمرزوقي أغلق الجدل النقدي في مسألة عمود الشعر عند القدماء. وفي الوقت نفسه – وهو المقصود – أنه صنع من تعبير عمود الشعر مصطلحاً وله مقوماته بعد أن

---

[١] كل النصوص المنتخبة يجدها القارئ في مقدمة الشارح من ديوان الحماسة / ص٤.

[٢] تاريخ النقد الأدبي عند العرب / ص٤٠٥.

كان عند الآمدي تعبيراً عائماً يتصل بأبي تمام والبحتري. وأنه طرح قضية (عمود الشعر) في شرح حماسة أبي تمام ليقول: إن أبا تمام لم يخرج عن عمود الشعر وإنما فعل ذلك في بعض أبياته[١].

حدود عمود الشعر عند المرزوقي:

يتساءل المرزوقي ((ما هو عمود الشعر المعروف عند العرب ، ليتميز تليد الصنعة من الطريف ، وقديم نظام القريض من الحديث ، ولتعرف مواطئ أقدام المختارين فيما اختاروه ، ومراسم أقدام المزيفين على ما زيفوه ، ويعلم أيضاً "فرق ما بين المصنوع والمطبوع ، وفضيلة الآتي السمح على الأبي الصعب))[٢].

وهو بسؤاله هذا يذكر أسباب وقوفه عند عمود الشعر ونلخصها كالآتي:

أ. لمعرفة سلوك القدماء في الشعر. كا في قوله ((ليتميز تليد الصنعة من الطريف)).

ب. ومعرفة النظام الشعري القديم وما الجديد الطارئ فيه. كما في قوله ((وقديم نظام القريض من الحديث)).

ج. لمعرفة أهل الصنعة في الشعر والطريف فيها. كما في قوله ((ولتعرف مواطئ أقدام المختارين فيما اختاروه)).

د. ومعرفة المقتبس أو المنحول من الشعر. كما في قوله ((ومراسم أقدام المزيفين على ما زيفوه)).

هـ. ولمعرفة الفرق بين المصنوع والمطبوع من الشعر. كما في قوله ((ويعلم أيضاً فرق بين المصنوع والمطبوع)).

و. ولمعرفة تلائم أجزاء النظم في اللفظ والمعنى. كما في قوله ((وفضيلة الآتي السمح على الأبي الصعب)).

والمرزوقي أثار في ذلك مجمل القضايا النقدية المهمة في عصره والعصور التي سبقته.

- ❖ فمثلاً أثار قضية (صناعة الشعر) في الفقرة – أ –
- ❖ وأثار قضية (النظام الشعري القديم) في الفقرة – ب –
- ❖ وأثار قضية الرواية والدرية (الأصول التي استند اليها الشعراء) في القفرة –ج–

---

[١] تاريخ النقد الأدبي عند العرب / ص٤٠٩.

[٢] الحماسة / مقدمة الشارح / ص٨-٩.

❖ وأثار قضية (المصنوع والمطبوع) في الفقرة – هـ –

❖ وأثار قضية (اللفظ والمعنى) في الفقرة – و –

ويعد المرزوقي إن حل هذه القضايا وإشكالاتها يكون بوضع عمود الشعر خصائل ومعايير كما فعل هو ومن سبقه كالقاضي الجرجاني.

وحين أجاب المرزوقي على السؤال (ما هو عمود الشعر المعروف عند العرب) قال: ((فنقول وبالله التوفيق)).

((إنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف ، ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرت سوائر الأمثال، وشوارد الأبيات والمقاربة في التشبيه ، والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار للمستعار له ، ومشاكلة اللفظ للمعنى ، وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما ، فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر ، ولكل باب معيار))[١].

ولو دققنا النظر في عمود الشعر للمرزوقي سنجد أنه اشترك في أربعة أبواب منه مع القاضي الجرجاني وهو كالآتي:

١. شرف المعنى وصحته.

٢. وجزالة اللفظ واستقامته.

٣. الإصابة في الوصف.

٤. المقاربة في التشبيه.

وإذا أردنا أن نكون عادلين أكثر ، فعلينا أن نقول أنه تاثر بتحديد الجرجاني لعمود الشعر ، واقتبس منه الشروط الأربعة الأولى وسماها أبواباً.

سوى أن المرزوقي استغنى عن ذكر (كثرة الأمثال السائرة والأبيات الشاردة) ولم يعدها أبواباً بل اعتقد أنها تتحقق من اجتماع العناصر الثلاثة الأولى وهي: ((شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والإصابة في الوصف)).

ولنا رأي في هذا سنورده عندما نقارن بين عمود الشعر للمرزوقي والقاضي الجرجاني.

وقد أضاف المرزوقي ثلاثة عناصر أخرى لم يذكرها الجرجاني صراحة وهي:

٥. التحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن.

---

[١] الحماسة / مقدمة الشارح / ص٩.

٦. مناسبة المستعار للمستعار له.

٧. مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما.

وجعل المرزوقي لكل واحد من الأبواب السبعة السابقة عياراً يستطيع الشاعر أو الناقد أن يحتكم إليه ، فيقيس جودة النظم أو رداءته.

١. ((فعيار المعنى أن يعرض على الفعل الصحيح والفهم الثاقب ، فإذا انعطف عليه جنبتا القبول والاصطفاء ، مستأنساً بقرائنه ، خرج وافياً ، وإلا انتقص بمقدار شوبه ووحشته)).

٢. ((وعيار اللفظ الطبع والرواية والاستعمال فما سلم مما يهجنه عند العرض عليها فهو المختار المستقيم. وهذا في مفرداته وحملته مراعى ، لأن اللفظة تستكرم بانفرادها ، فإذا ضامها ما لا يوافقها عادت الجملة هجيناً)).

٣. ((وعيار الإصابة في الوصف الذكاء وحسن التمييز ، فما وجداه صادقاً في العلوق ممازجاً في اللصوق ، يتعسر الخروج عنه ، والتبرؤ منه فذاك سيماء الإصابة فيه)).

٤. ((وعيار المقاربة في التشبيه الفطنة وحسن التقدير ، فأصدقه ألا ينتقص عند العكس، وأحسنه ما أوقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما ليبين وجه التشبيه بلا كلفة ، إلا أن يكون المطلوب من التشبيه أشهر صفات المشبه به وأملكها له ، لأنه حينئذٍ يدل على نفسه ويحميه من الغموض والالتباس)).

٥. ((وعيار التحام أجزاء النظم والتئامه على تخير من لذيذ الوزن ، الطبع واللسان، مما لم يتعثر الطبع بأبنيته وعقوده ، ولم يتحبس اللسان في فصوله ووصوله ، بل استمرا فيه واستسهلاه ، بلا ملال ولا كلال ، فذاك يوشك أن يكون القصيدة منه كالبيت ، والبيت كالكلمة تسالماً لأجزائه وتقارناً... وإنما قلنا ((على تخير من لذيذ الوزن)) لأن لذيذه يطرب الطبع لإيقاعه ، ويمازجه ، بصفائه ، كما يطرب الفهم لصواب تركيبه ، واعتدال نظومه)).

٦. ((وعيار الاستعارة الذهن والفطنة ، وملاك الأمر تقريب التشبيه في الأصل حتى يتناسب المشبه به ، ثم يكتفي فيه بالاسم المستعار لأنه المنقول عما كان له في الوضع إلى المستعار له)).

٧. ((وعيار مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية ، طول الدراية ودوام المدارسة، فإذا حكما بحسن التباس بعضها ببعض ، لا جفاء في خلالها ولا نبو، ولا زيادة فيها ولا قصور ، وكان اللفظ مقسوماً على رتب المعاني ؛ قد جعل الأخص للأخص ،

والأخس للأخس ، فهو البريء من العيب. وأما القافية فيجب أن تكون كالموعود به، المنتظر ، يتشوفها المعنى بحقه واللفظ بقسطه ، وإلا كانت قلقة في مقرها، مجتلبة لمستغن عنها)).

وبعد أن ينتهي المرزوقي من عرض أبواب عمود الشعر وعيار كل باب منه يقول: ((فهذه الخصال عمود الشعر عند العرب ، فمن لزمها بحقها وبنى شعره عليها، فهو عندهم المفلق المعظم ، والمحسن المقدم. ومن لم يجمعها كلها فبقدر سهمته منها يكون نصيبه من التقدم والإحسان ، وهذا إجماع مأخوذ به ومتبع نهجه حتى الآن)).

ثم ينتقل إلى مسألة مهمة في عمود الشعر عدها وسائط وأطرافاً لخصال عمود الشعر وهي ثلاث: صدق الواصف ، وغلو الغالي ، واقتصاد المقتصد.

وقد جمعها بقوله: ((وأعلم أن لهذه الخصال وسائط وأطرافاً ، فيما ظهر صدق الواصف، وغلو الغالي ، واقتصاد المقتصد. وقد افتقرها اختيار الناقدين))[١].

وعلى هذا الأساس يرى د. إحسان عباس أن المرزوقي لا يخرج شاعراً عن عمود الشعر، وإنما يخرج القصيدة الواحدة أو الأبيات المعنية لإخلالها بكل العناصر[٢].

وهو في اعتقادنا رأي صحيح ، وإنجاز نقدي كبير حققه المرزوقي في مقدمته هذه حين وضع حدوداً لعمود الشعر.

ويورد د. إحسان عباس رأياً آخر بقوله: ((وإن هذه المعايير على وجه الخصوص هي ليست شيئاً سوى ما جاء به القاضي الجرجاني ؛ إلا أن الجرجاني افترض وجود هذه العناصر في الشاعر ، أما المرزوقي فإنه يتحدث عن توفرها في المتلقي أو المتذوق أو الناقد))[٣].

ولنا رأي في هذا، إذ لا يمكن النفي من أن المرزوقي قد أخذ قسماً مما جاء به القاضي الجرجاني في مسألة عمود الشعر. سوى أنه توسع في معاييره لتوسيع مصطلح عمود الشعر ، ليشمل أكبر عدد من الشعراء.

---

[١] كل النصوص السابقة مأخوذة من مقدمة الشارح من ديوان الحماسة / ص٩-١١.

[٢] تاريخ النقد الأدبي عند العرب / ص٤٠٩.

[٣] ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب / ص٣٢٨.

وإن معايير المرزوقي تكاد تكون كلها يفترض وجودها عند الشاعر لأنه صاحب النظم ، أو معظمها ، أما عند الناقد فهي مجموع من المقاييس يستخدمها كأدوات ليختبر بها (النظم).

وليس كما يعتقد د. إحسان عباس بأن المرزوقي يتحدث عن توفرها في المتلقي أو المتذوق أو الناقد.

وأغلب الظن أن تفسير العيار الأول من عيارات عمود الشعر هو الذي جعله يميل إلى هذا الرأي. حين قال المرزوقي: ((فعيار المعنى أن يعرض على العقل الصحيح، والفهم الثاقب ، ...)).

فعبارة أن (يعرض) وعبارة (القبول والاصطفاء) ، اختصت بالمتلقي والشاعر. ولكن من يدقق في المعايير الستة الأخرى فسيجدها تختص بالشاعر قبل المتلقي ، وإن ارتباط المتلقي بالشاعر هي قضية تحصيل حاصل ، ومسألة مسلم بها. ولا يعني أن معايير المرزوقي هي موجهة بتخصيص محض للمتلقي وإذا كان الأمر كذلك فما هو دور عمود الشعر في تحديد شعر الشاعر إذا كانت هذه المعايير تخص المتلقي.

نعم إنها تخص المتلقي في حالة استخدام الناقد لها كمقاييس وأدوات لا أكثر.

الموازنة بين عمود الشعر عند القاضي الجرجاني والمرزوقي:

لو أردنا وضع موازنة مقارنة بين عناصر عمود الشعر عند القاضي الجرجاني وبين عناصر عمود الشعر عند المرزوقي لوجدنا الآتي:

١. إن هناك أربعة عناصر مشتركة عند الجرجاني والمرزوقي. وهي الأساس الفاعل الذي أقيم عليه عمود الشعر (شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته، الإصابة في الوصف ، المقاربة في التشبيه).

وإذا كنا منصفين فإن هذه العناصر الأربعة وكما ذكرنا سابقاً قد أخذها المرزوقي من القاضي الجرجاني دون إشارة له. سوى أنه حاول في ذكر عبارات يظهر من خلالها إن ما أورده من عمود الشعر معروف عند العرب ، وهو نهج متبع ، أو إجماع مأخوذ به.

وبذلك يكون قد عد نفسه لم يأخذ شيئاً مما سبقه ، لأنه معلوم ومعروف. ونجد ذلك في عبارته:

((فإذا كان الأمر على هذا ، فالواجب أن يتبين ما هو عمود الشعر المعروف عند العرب))[1].

فإذا كان معروفاً فلماذا يتناوله المرزوقي في مقدمته ويأخذه بشيء من التفصيل؟!.

ثم يقول في موضع آخر: ((فهذه الخصال عمود الشعر عند العرب... وهذا إجماع مأخوذ به ، ومتبع نهجه حتى الآن)).

وبذلك يتضح الاختلاف بين مفهوم عمودي الشعر عند الناقدين ليس اختلافاً بالمضمون والفكرة والشروط وإنما هو اختلاف نتيجة زيادة المرزوقي أبواباً أخرى.

٢. إن القاضي الجرجاني عد (سوائر الأمثال ، وشوارد الأبيات) بابين في عمود الشعر.

بينما عدها المرزوقي نتيجة اجتماع ثلاثة عناصر في عمود الشعر وهي (شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والإصابة في الوصف).

ونعتقد أنها عند الجرجاني أصوب وأكثر ملائمة ، لأن الشاعر لا يستغني عنهما كثيراً وهي مكملة لشرف المعنى وجزالة اللفظ والإصابة في الوصف وليست نتيجة لها.

القاضي الجرجاني على ما اعتقده ، كشف وقارب. أما المرزوقي فإنه فصل فابتعد.

٣. القاضي الجرجاني لم يذكر معايير لأبواب عمود الشعر. أما المرزوقي فقد ذكر معايير (سبعة)، ولكنها متداخلة ، ولا يشوبها تمييز إلا بقدر من السعة في الوصف يمكن أن تقارب بين هذه المعايير أو تستبدل بين أبوابها لملاءمتها وقبول موافقتها لذلك. فمثلاً يمكن أن يكون عيار الوصف وعيار التشبيه وعيار الاستعارة هو ذاته. (الذكاء والفطنة وحسن التمييز).

وهذا متأت من أسلوب التأليف عند العرب حيث يكون الوصف وافتراش العبارة لمعنى أوسع من معناها المحدد لها فيعطي عدة تأويلات.

٤. القاضي الجرجاني ، وكما ذكرنا سابقاً ، وضع عمود الشعر ليكون مقايسة في الدفاع عن شعر المتنبي.

أما المرزوقي... فقد حاول أن تكون معايير عمود الشعر عنده شاملة ولا يخرج شاعراً منها سوى قصيدة أو أبيات مفردة ، وذلك لغرض أن يكون هذا الأمر مواتياً لشعر أبي تمام المتهم بالتوعر.

---

[1] الحماسة / مقدمة الشارح / ص٨.

٥. القاضي الجرجاني ذكر مصطلح (عمود الشعر) في مجمل كلامه دون قصد كبير في التنظير له ومدارسته.

أما المرزوقي قال: ((فالواجب أن يستبين ما هو عمود الشعر المعروف عند العرب)). إذن دراسته لعمود الشعر كانت مسألة قصدية يروم المرزوقي تفصيلها ومن ثم وضع حدود لها.

٦. استدرك المرزوقي على الجرجاني في مسألة عمود الشعر بعد أن تكاملت النظرة فيه لذلك لم يقدم أحد من المتأخرين بعد المرزوقي على الخوض في قضية " عمود الشعر " ليقدم آراء جديدة أو نظرة مستقلة.

وصارت مقدمة المرزوقي لشرح الحماسة لذلك مرجعاً لمعرفة نظرية عمود الشعر عند القدماء.

أما عن وجهة نظرنا في عمود الشعر فيمكن القول:

إن وظيفة الأدب هي التعبير عن الأفعال والموضوعات وليس محاكاتها ، وإن لغة الشعر هي لغة مشحونة بالمعنى الدال وتزيح اللفظ عن المتعارف عليه ، فضلاً عن اشتمالها على العاطفة وفيض من المشاعر في الأعم والأغلب ؛ على أن لا نعد العاطفة شرطاً لا يصح الشعر بدونه.

ومن ذلك كان التمرد على المحتوى ومن ثم على الشكل في القصيدة قائماً منذ أواخر العصر العباسي الثاني فيما يخص الأدب القديم.

أما ما يخص الأدب الحديث فنجد الثورة على القصيدة العمودية التي توسمت بشعر التفعيلة هي ثورة جذرية في الشكل والمضمون

وإن النقاد الأوائل حين أجازوا لأنفسهم وضع شروط لحدود الشعر ، لا يعني إلزامهم بذلك إلزاماً، وهم أنفسهم (أي النقاد) يعلمون بأن عليهم التنظير وعلى الشعراء الإلمام بالأمر، ولكن ليس لديهم على الشعراء بسلطان غير ذلك.

لأن الشعر على وجه الخصوص حالة لا يكونها الآخر (الناقد) بل هي التي تكون ذاتها عند الشاعر. أي إن إنشاء اللغة إنشاءً يتكون من الداخل ، وإن اللغة تنتظم داخل القصيدة ، وهي تنتظم لذاتها ولا تفرض خطواتها على الشاعر بل هي التي تفرض ذاتها على فكر وخيال منشئها وتتكون بحس بداهته وطبيعته وعاطفته والفكرة التي بعثت فيها الحياة وجعلتها تتحول من حس باطني إلى لفظ متكون.

ونجد ذلك واضحاً لدى بعض نقادنا الذين نظروا إلى أمر تحديد أصول الشعر ونقده نظرة موضوعية أمثال الآمدي والمرزوقي والجرجاني وغيرهم.

فمثلاً نقرأ في كتاب الموازنة للآمدي:

((قال صاحب البحتري: فقد كان الخليل بن أحمد عالماً وشاعراً ، وكان الأصمعي عالماً، وكان الكسائي كذلك وكان خلف الأحمر أشعر العلماء ، وما بلغ بهم العلم طبقة من كان في زمانهم من الشعراء غير العلماء. لقد كان التجويد في الشعر ليس علته العلم لو كان علته العلم لكان من يتعاطاه من العلماء أشعر ممن ليس بعالم ، فقد سقط فضل أبي تمام من هذا الوجه على البحتري ، وصار أفضل وأولى بالسبق ؛ إذ كان معلوماً شائعاً أن علم العلماء دون شعر الشعراء))[١].

وقال الجرجاني: حين تحدث عن (التحامل في النقد)[٢]:

((ولو أنصف أصحابنا هؤلاء ، لوجد يسيرهم أحق بالاستكثار وصغيرهم أولى بالإكبار)).

ويقول في موضع آخر:

((فإن أحدهم ينشد البيت فيستحسنه ويستجيده ، ويصحب منه ويختاره ؛ فإذا نسب إلى بعض أهل عصره وشعراء زمانه كذب نفسه ونقض قوله))[٣].

وقال المرزوقي: ((ولو إن نقد الشعر كان يدرك بقوله لكان من يقول الشعر من العلماء أشعر الناس. ويكشف هذا أنه قد يميز الشعر من لا يقوله ، ويقول الشعر الجيد من لا يعرف نقده))[٤].

وذكر ابن رشيق (٤٥٦ للهجرة) في العمدة:

((وقيل للفضل الضبي: لم لا تقول الشعر وأنت أعلم الناس به ؟ قال: علمي به هو الذي يمنعني من قوله ، وأنشد:

وقد يقرضُ الشعر البكي لسانه وتعي القوافي المرء وهو لبيب[٥]

---

[١] الموازنة / الآمدي / ص٢٤.

[٢] الوساطة / ص٥٢.

[٣] الوساطة / ص٥٠.

[٤] الحماسة / مقدمة الشارح / ص١٤.

[٥] العمدة / ابن رشيق / تحقيق: محمد محيي الدين عبد المجيد / ص١١٧.

وهذه آراء مهمة فالشعر موهبة فطرية ، كالرسم ، ولا يعوزها إلا الدربة والرواية. والمتذوق للشعر لا يشترط على الشاعر أن تكون قصيدته في حدود معينة دون أخرى ، والمتذوق ليس بالضرورة أن يكون ناقداً. لأن النقاد في معظمهم حين يقصدون عيباً يجدونه.

والمتذوق لا يستخدم علماً ومقياساً ليستطيب الشعر أو يمقته. وإنما يعتمد في استساغته الشعر على مستوى تذوقه وحسه وثقافته.

الخاتمة

كان من الممكن أن نعرض في بحثنا تفاصيل عمود الشعر عند القاضي الجرجاني ومن ثم المرزوقي ، وتناول مسائل نقدية عديدة بالشرح والمناقشة كموضوعات (اللفظ والمعنى) و(الطبع والصنعة) و(القديم والمحدث) إلى ما ذلك من الموضوعات التي يتناولها عمود الشعر ومعاييره. ولكن وجدنا أن لا طائل من هذه الموضوعات ؛ لكثرة تناولها ولدراستها من قبل زملائي من الباحثين فضلاً من تناولها من قبل القدماء والمحدثين كلما أرادوا التعرض لعمود الشعر ومعاييره.

وكان من الأفضل لبحثنا تتبع عمود الشعر في التاريخ النقدي ومن ثم التوقف عند ثلاثة من النقاد الذين تناولوا " عمود الشعر " كما فعل الآمدي باستخدام معايير عمود الشعر لأول مرة في الموازنة والقاضي الجرجاني وهو يعرض معظم أبوابه لأول مرة في وساطته. والمرزوقي عند انتظام عمود الشعر عنده في نظرية واضحة وصفها في مقدمته للحماسة.

وبذلك صار عملنا محصوراً في هرم علمي ثلاثي ينتقل من القاعدة التي طرفها الأول الآمدي وطرف قاعدته الثاني الجرجاني ويمثل المرزوقي قمة الآراء النقدية لعمود الشعر والتي تتمركز مكونة قمة الهرم.

وقد بذلنا جهداً في جمع أراء المحدثين في هذه القضية للإطلاع أو لمناقشة الآراء على الرغم من أننا لم نجد رأياً متميزاً وجدياً بخصوص عمود الشعر لدى المحدثين.

وكانت أفضل الآراء التي اطلعنا عليها في موضوع عمود الشعر ، هي آراء الدكتور إحسان عباس في كتابه ((تاريخ النقد الأدبي عند العرب)) وقد ناقشنا بعضاً من آرائه في محتوى البحث.

إلا أن جل اهتمامنا في الدراسة ركز على قراءة النصوص النقدية ومناقشتها للوصول إلى رأي يكون ؛ أما مطابقاً لما جاء من قبلنا أو مختلفاً عنه في جزء يسير أو كبير معتمدين في ذلك الحجج والبراهين المستندة إلى المنطق.

أرجو من الله أن أكون قد وفقت والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

المصادر والمراجع

١. الأسس الجمالية في النقد الأدبي/ عز الدين إسماعيل / ط٢ / دار الفكر العربي/ ١٩٦٨,

٢. تاريخ النقد الأدبي عند العرب ((نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري))/ د. إحسان عباس / دار الأمانة / مؤسسة الرسالة / ط١ / ,١٩٧١
٣. حركات التجديد في الأدب العربي (مجموعة مقالات) / دار الثقافة للطباعة والنشر/ القاهرة / ,١٩٧٥
٤. الحيوان/ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ / تحقيق عبد السلام هارون / القاهرة / ١٩٣٨-,١٩٤٥
٥. شرح ديوان الحماسة / المرزوقي / تحقيق أحمد أمين / عبد السلام هارون / ط١ / القاهرة / ,١٩٥١
٦. الشعر والشعراء / ابن قتيبة / طبعة غير محققة / قسطنطينية / عالم الكتب/ بيروت.
٧. العمدة (في محاسن الشعر وآدابه ، ونقده) / ابن رشيق القيرواني / تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد / ط٢ / مطبعة السعادة / مصر / ١٩٥٥.
٨. معجم النقد العربي القديم / د. أحمد مطلوب / ج٢ / دار الشؤون الثقافية / بغداد/ ,١٩٨٩
٩. الموازنة بين أبي تمام والبحتري / الآمدي / تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد/ ط٢ / مصر / ,١٩٥٤
١٠ نظريات التعلم / أحمد زكي / القاهرة / ,١٩٦٨
١١. نظرية النقد العربي وتطورها في عصرنا / د. محيي الدين صبحي / الدار العربية للكتاب / ليبيا / تونس / ,١٩٨٤
١٢. الوافي/ معجم وسيط للغة العربية / الشيخ عبد الله البستاني / مكتبة لبنان/ بيروت/ ,١٩٨٠
١٣. الوساطة بين المتنبي وخصومه / القاضي الجرجاني / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم/ علي محمد البجاوي / ط٢ / دار إحياء الكتب العربية / ١٩٥١.